

الوزارة في السياسة الشرعية

نور ليلة المشفعة*

الخلاصة: في هذا المقال تبحث الكاتبة الوزارة في تاريخ السياسة الشرعية منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الآن. إن كلمة الوزارة كلمة عربية أصيلة من وزن "وزر" ولكن الإدارة الوزارية مأخوذة من عادة الفرس بمعنى الحاكم. كلمة الوزارة في القرآن مستعملة في حكاية هارون عن كونه مساعدا للنبي موسى عليه السلام في الدعوة. إن الوزارة لم تكن معروفة في الحكومة الإسلامية إلا منذ العصر العباسي، ولكنها نشأت منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في عهد الرسول كان أبو بكر مساعد الرسول فهو وزيره وفي عهد الخلفاء الراشدين كان بعض الصحابة يساعدون الخليفة فهم وزراءه كعمر بن الخطاب هو وزير الخليفة أبي بكر الصديق، وفي عهد الخلافة الأمية كانت الوزارة مستعملة لمساعد الخليفة ولكن لم تكن منظمة، فالوزارة تكون منظمة في الخلافة الإسلامية منذ العصر العباسي إلى عصرنا الآن وتطورت الوزارة بتطور شكل الدولة. إن الوزارة أمر مهم في الحكومة، إذ أن الوزير هو مساعد هام للرئيس أو الخليفة، استولى الرئيس الوزير ليساعده في حل مشاكل الدولة والحكومة والرعية، بهذه المساعدة تخفف ثقل عبء الرئيس في أمر الدولة.

الكلمات الأساسية: الوزارة، الوزير، الحكومة

أ. المقدمة:

*الكاتبة هي مدرسة بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية الحكومية سونان أمبيل سورابايا.

في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فالرسول كرئيس الدولة الإسلامية ساعده أصحابه في عمل وظيفه حكومته. وكذلك في عصر الخلفاء الراشدين وما بعدهم فللخليفة مساعدون لحل مشاكل الدولة ليخففوا عبء وظيفتهم. وبعد مرور الزمان تطور شكل الدولة الإسلامية يؤثر في شكل حكومتها ومساعدتي رئيس الدولة المشهورين الآن بالوزراء .

الوزارة لم تعرف بشكلها الذي يعني معاونة الخليفة في تصريف وشؤون الدولة إلا في العصر الأموي، والوزارة لم تنظم قواعدها إلا في عهد الدولة العباسي حيث تقرررت قوانين الوزارة، وسمي الوزير وزيراً . يعتبر أبو سلمة الخلال حفص بن سليمان أول وزراء الدولة العباسية، أي أنه أول من تولى الوزارة بعد تنظيم قواعدها، وتطورت الوزارة في العهد العباسي إلى عصرنا الآن .

ففي هذا المقال تبحث الكاتبة تاريخ الوزارة في السياسة الشرعية التي يتكون من تعريف الوزارة وتطورها من عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الآن .

ب. التعريف والأقسام والشروط من الوزارة

١. تعريف الوزارة

إن الوزارة لفظة عربية أصيلة، قد عرف ابن منظور في كتابه "لسان العرب" أن الوزارة من كلمة "وزر"، الوزرُ الملجأ، والوزرُ الحِملُ الثقيلُ وجمعهما أوزارٌ، وغيرها الوزرُ الإثمُ والثقلُ والكارئةُ والسلاحُ، والوزيرُ حياً المَلِكِ الذي يحملُ ثقله ويعينه برأيه وقد استوزره، وحالته الوزارةُ والوزارةُ. ووازره على الأمر أعانه وقواه، واجعل لي وزيراً من أهلي. قال الوزير في اللغة اشتقاقه من الوزر. والوزرُ الجبلُ الذي يعتصم به يُنجى من الهلاك، وكذلك وزيرُ الخليفة معناه الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجئ إليه وقيل قيل لوزير السلطان وزيرٌ لأنه يزُرُ عن السلطان أُنقال ما أُسند إليه من تدبير المملكة.^١

وأما الماوردي قال إن اسمَ الوزارةِ مختلف في اشتقاقه على ثلاثة أوجه : أحدها : أنه مأخوذ من الوزر وهو الثقلُ لأنه يحمل عن المَلِكِ أو رئيس الدولة أُنقاله. الثاني : أنه مأخوذ من الوزر وهو الملجأُ ومنه قوله تعالى: (كَلَّا لَا وَزَرَ) أي لا ملجأ فسمي بذلك ، لأن المَلِكُ يُلجأ إلى رأيه ومعوته. والثالث: أنه مأخوذ من الأزر وهو الظَّهرُ ، لأن المَلِكَ يَقوى بوزيره كقوة البدن بالظَّهر ولأي هذه المعاني كان مشتقاً فليس في واحد منها ما يوجب الإستبداد بالأُمور.^٢ فكلمة الوزير جامعة لهذه المعاني كلها،

ابن منظور، لسان العرب، ج. ٥ (بيروت: دار صادر، دت.)، ص. ٢٨٢.

الماوردي، الأحكام السلطانية (بيروت: دار الفكر، دت.)، ص. ٤٠.

فالوزير عون على الأمور، وشريك في التدبير، وظهير في السياسة، وملجأ عند النازلة، وهذه المعاني هي ما تهدف إليه الدساتير في العالم.

الوزارة في الاصطلاح الشرعي هي أهم مناصب الدولة بعد الخلافة. واصطلاح الوزارة معروف منذ فجر تاريخ الإنسانية، فكلمة وزير عرفت عند العرب قبل الفتوحات الإسلامية، إذ من المسلم به تاريخياً أن منصب الوزارة في حد ذاته أقدم من الإسلام، فقد ورد في القرآن على لسان موسى عليه السلام: (وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي)، فلما جاء الإسلام أقر المنصب ووضع له شروطاً خاصة تميز بها، مما يؤكد أن هذا المنصب كان موجوداً منذ صدر الإسلام، ولم يعرفه المسلمون عن طريق الفرس، كما يحلو للبعض أن يقول بفارسية المنصب. فمنصب الوزير كان موجوداً منذ صدر الإسلام، وإن لم يكن له مظاهره وأبهته، وذلك لبساطة الناس في ذلك الوقت، وبعدهم عن أبهة الملك.

وقد استعمل المسلمون كلمة الوزارة، فعندما التقى المهاجرون والأنصار في السقيفة لاختيار خليفة رسول الله، قال أبو بكر الصديق: "نحن الأمراء، وأنتم الوزراء". وهذا عمر بن الخطاب كتب إلى أهل الكوفة: "إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً"^٢.

٢-، "المشاركة في الوزارة"، في <http://www.palestine-info.info>، ١٧ فبراير ٢٠١١.

تشرح موسوعة أكسفورد أن كلمة الوزير معربة من لغة الفرس بمعنى الحاكم،^٤ وهو الذي يحكم أي يقرر الشيء المهم.^٥ هذا يدل على أن الوزارة قد ظهرت قبل الحكومة الإسلامية بل منذ عصر قديم من بني إسرائيل أو فرس قديم. يؤيده أ. جازولي، أن الوزارة لا تظهر في الإسلام بل قد ظهرت قبله بدليل من القرآن في سورتي طه (٢٠) ٢٩-٣٠ و الفرقان (٢٥) ٣٥ التي تحكي عن هارون الذي يكون وزيراً لموسى أي مساعده في حل مشاكل الدعوة. قياساً على ذلك فاختيار الوزير لحل مشاكل الدولة أولى لأن الرئيس يستحيل أن يعمل وظيفة رياسته وحده دون مساعدة وزيره. بمساعدة الوزير يسهل الرئيس في عمل وظيفته لمصلحة الأمة ويقلل الأخطاء في عمله.^٦

من هذه التعريفات نعرف أن الوزير هو مساعد رئيس الدولة أو الأمير أو الخليفة في عمل بعض وظائفه. لأنه يستحيل للرئيس يفكر أمور الدولة وحده دون مساعدة وزيره الذي يصير كاليد اليمنى له.^٧ وذلك لأسباب فهي أن السلطان لا بد له

^٤ موندل اسبوسيطو، أكسفورد، ج. ٦ (باندويج، ميزان، ٢٠٠١)، ص. ١٥٨.

محمد إقبال، *Fiqh Siyasaḥ: Kontekstualisasi Doktrin Politik Islam* (جاكرتا: غايا ميديا فرتامبا، ٢٠٠١)، ص. ١٤٤.

^٥ أ. جازولي، *Fiqh Siyasaḥ: Implementasi Kemaslahatan Umat dalam Rambu-rambu*.

(باندويج: جونويج جاتي، ٢٠٠٠)، ص. ٧٢.

محمد إقبال، *Fiqh Siyasaḥ: Kontekstualisasi Doktrin Politik Islam*، ص. ١٤٥.

من الاستعانة بغيره، فيما يحمل من الأمر الثقيل في سياسة من استرعاه الله تعالى من خلقه وعباده، أن الوظائف التي بها استعان السلطان في الملة الإسلامية مندرجة في الخلافة المشتملة على حفظ الدين والدنيا، ولأن هذه الاستعانة إما بصاحب رأي أو سيف أو قلم أو حجابة، وإلى رتبها الأربع يرجع جميع رتب الملك والسلطان. وواليها هو صاحب رأي السلطان حتى قال ابن المقفع: "لا يُستَظاع السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا تنفع الوزراء إلا بالمودة والنصيحة".^{٤٠}

٢. أقسام الوزارة

قسم الماوردى الوزارة إلى قسمين هما وزارة تفويض ووزارة تنفيذ. فأما وزارة تفويض فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة. قال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي).^{٤١} فإذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة أجوز.^{٤٢} مصطلح وزارة التفويض الآن

^{٤٠} راجب السرجاني، "إسهامات المسلمين النظرية في نظام الوزارة"، في <http://www.islamstory.com>،

١٧ فبراير ٢٠١١.

^{٤١} الماوردى، الأحكام السلطانية، ج. ١، ص. ٤٠.

^{٤٢} المصدر السابق.

كرئيس الوزراء في الحكومة.^{١١} وأما وزارة تنفيذ فهو أن يستوزر الإمام من ينفذ الأمور برأي الرئيس أو وزير تفويض. فولاية وزارة التفويض أكبر من ولاية وزارة التنفيذ ولكن أقل من ولاية الإمامة.^{١٢}

ولاية وزير التفويض أقل من ولاية الخليفة لأن الوزير المفوض له كل سلطات الإمام من تعيين الحكام والنظر في المظالم، وقيادة الجيش، وتعيين القائد، وتنفيذ الأمور التي يراها. إلا ثلاثة أمور هي: ولاية العهد، واستعفاء الأمة من الإمامة، وعزل من قلده الإمام، أما الإمام فله أن يعزل من ولاة الوزير. وفي العلاقة بين الإمام ووزير التفويض يلاحظ ما يلي: يطالب وزير التفويض بمطالعة الإمام لما أمضاه من تدبير، وأنفذه من ولاية وتقليد لئلا يصبح باستبداده كالإمام، ويتصفح الخليفة أفعال الوزير وتدييره الأمور، ليقر منها، ما وافق الصواب ويستدرك على ما خالفه. وشروط وزارة التفويض كما تذكرها كتب السياسة الشرعية هي كشروط الإمامة، إلا شرط القرشية، فهو شرط غير معتبر في وزارة التفويض.^{١٣}

أما ولاية وزير التنفيذ أقل من ولاية وزير التفويض. وذلك من أربعة أوجه. أحدها، أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم وليس ذلك لوزير

١١-، "الوزارة في الإسلام"، <http://el-wasat.com>، ١٧ فبراير ٢٠١١.

١٢-وهبه الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج. ٨ (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨)، ص. ٧٣١.

١٣-، الوزارة في الإسلام.

التنفيذ. والثاني، أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة وليس ذلك لوزير التنفيذ. والثالث، أنه يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ. والرابع، أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في أموال بيت المال بقبض ما يستحق له ويدفع ما يجب فيه وليس ذلك لوزير التنفيذ.^{١٤}

إن وزير التنفيذ وسيط بين الخليفة والرعية، فهو يعمل على ما أمره الإمام. فهو معين في تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلدا لها. وزير التنفيذ مقصور النظر على أمرين، هما أن يؤدي إلى الخليفة وأن يؤدي عنه فيراعى فيه.

وأهم ما يميز هذه الوزارة عن وزارة التفويض أن سلطات الوزير فيها محدودة، فهو منفذ لأوامر الإمام ونواهيته، ولا يحق له مباشرة أي عمل إلا بإذنه. إن مثل هذه التراتيب الإدارية ليست من قواطع الشريعة، بل هي من جنس السياسة الشرعية التي يباشرها الولاة بما يحقق المصالح ويدفع المفاسد، ويحافظ على مقصود الشرع من إقامة العدل وتحكيم الشريعة واستتباب الأمن والمحافظة على الحقوق والحرمات العامة، ويمكن أن يستفاد قبي ذلك بما ينتهي إليه العالم من تجارب إدارية معاصرة شريطة المحافظة على هذه المقاصد الشرعية.^{١٥}

^{١٤} المصدر السابق.

^{١٥} -، الوزارة في الإسلام.

٣. شروط الوزارة

رأى وهبة الزحيلي، أن وزير التقيض أن يتصف بالصفات الآتية: الأمانة والصدق والكرم وعدم الطمع وذو عقل ولا يتبع هواه.^{١٦} عسى بهذه الصفات يعمل الوزير وظيفته بالحق وبعيدا من الباطل.

يشترط في الوزارة أن يكون الوزير على صفات المجتهدين لأنه ممضي الآراء ومنفذ الاجتهاد وكذلك أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل من أمور السياسة.^{١٧} فرق الماوردي بين شروط وزير التقيض ووزير التنفيذ لسبب ولاية وزير التقيض أقل من ولاية وزير التنفيذ بأمر وهي أن يكون وزير التقيض حريا وعالما بالأحكام الشرعية وأن يكون عارف بأمر الحرب والخراج. وليست هذه الشروط معتبرة لوزير التنفيذ.

الشروط التي تلزم لوزير التنفيذ هي الأمانة حتى لا يخون فيما قد ائتمن عليه ولا يغش فيما قد استنصح فيه، صدق المهجة حتى يوثق مجبره فيما يؤديه ويعمل على قوله فيما ينهيه، قلة الطمع حتى لا يرتشي فيما يلي ولا ينخدع فيتساهل، أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء فإن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف، أن يكون ذمورا لما يؤديه إلى الخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه، الذكاء

^{١٦} المصدر السابق، ص. ٧٣٢.

^{١٧} الماوردي، الأحكام السلطانية، ج. ١، ص. ٤٠.

والفطنة حتى لا تدلس عليه الأمور فتشبهه، وأن لا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل ويتدلس عليه الحق من المبطل.^{١٨}

وقد أوضح الشيزري (ت ٥٨٩هـ) في كتابه "المنهج السلوك في سياسة الملوك" على ضرورة أن يتصف الوزير بعشر صفات واجبة التحقق؛ وهي: العلم، والسن، والأمانة، وصدق الحديث، والقناعة، والمسالمة، وقوة التذكر، والذكاء والفطنة، وألا يكون من أهل الأهواء، وأن يكون من أهل الكفاية.^{١٩}

نظرا للشروط التي شرحها العلماء السابقة نعرف أن الوزارة من أهم المناصب في الحكومة، لأنها عمود الحكومة. رجاء بهذه الشروط أن لا يخالف الوزراء أماناتهم للدولة التي في أيديهم.^{٢٠}

ج. الوزارة في الحكومة الإسلامية

لفظ الوزارة معروف عند العرب قبل الإسلام ، وقد ورد في القرآن الكريم في موضعين، هما قوله تعالى في سورة طه (٢٠): ٢٩: (وَأَجْعَلْ لِي زَوجًا مِّنْ أَهْلِى)، وفي سورة الفرقان (٢٥): ٣٥: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ

^{١٨} المصدر السابق.

^{١٩} راغب السرجاني، إسهامات المسلمين النظرية في نظام الوزارة.

^{٢٠} المصدر السابق.

وَزِيرًا). كما أنه ورد في عدة مواضع من السنة النبوية مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله بالأمر خيرا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه".^{٢١} وفي أقوال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في السقيفة، في كلامه للأَنْصار رضي الله عنهم حيث قال: "نحن الأمراء وأنتم الوزراء".^{٢٢}

الوزارة هي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة، فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة، أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره، وأثقاله، وهو راجع إلى المعاونة المطلقة. إن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة: لأنها إما أن تكون في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة، وصاحب هذا هو الوزير المتعارف قبي الدول القديمة بالشرق، ولهذا العهد بالمغرب، وإما أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذه، الأوامر فيمن هو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب، وإما أن تكون في أمور جباية المال وإنفاقه، وضبط ذلك

^{٢١} روي الحديث عن عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه أبو داود في الإمامة رقم (٢٩٣٢)

^{٢٢} روي الحديث عن عائشة رضي الله عنها - وأخرجه البخاري - كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥) ،

من جميع وجوهه أن يكون بمضيعة، وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق، وإما أن يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه، وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه. فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه. وكل خطة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فإليها ترجع. إلا أن الأرفع منها ما كانت الإعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف، إذ هو يقتضي مباشرة السلطان دائماً ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه. وأما ما كان خاصاً ببعض الناس أو ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص، كحسبة الطعام أو النظر في السكة، فإن هذه كلها نظر في أحوال خاصة، فيكون صاحبها تبعاً لأهل النظر العام، وتكون رتبته مرؤوسة لأولئك. وما زال الأمر في الدول قبل الإسلام هكذا حتى جاء الإسلام وصار الأمر خلافة، فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك إلا ما هو طبيعي من المعاونة بالرأي، والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله، إذ هو أمر لا بد منه.

اشتق نظام الوزارة من كلمة المؤازرة التي تعني المساعدة انطلاقاً مما ورد في القرآن الكريم بما يفيد هذا المعنى، وتختلف كتب الأحكام السلطانية في تقرير ما إذا كان هذا المنصب عربياً إسلامياً أم مأخوذاً عن النظم الأخرى التي ورثتها "دار الإسلام"، لكن من الواضح أن المنصب لم يظهر إلا في زمن العباسيين لكنهم من الناحية العملية كان موجوداً منذ عهد الرسول صلي الله عليه وسلم حيث كان بعض الصحابة مثل أبا بكر

وعمر يعاونون الرسول في بعض الأمور نفس الشيء يقال عن عمر تجاه أبا بكر فكان عمرا ينصح أبا بكر وبالمثل كان علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان.

ظهرت الدولة الإسلامية بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. مهما لم تكن للدولة حكومة منظمة إلا أن للرسول مساعد مشهور وهو أبو بكر فهو وزيره. فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة، ويخص مع ذلك أبا بكر بخصوصيات أخرى، حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيره وكذا علي وعثمان مع عمر بن الخطاب. ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الإسلام. إن مصطلح "الوزير" مشهور استعماله في عصر الخلافة الأموية وتقوم منظمة في العصر العباسية لتأثير الفرس في الخلافة الإسلامية.^{٢٣}

يوضح التاريخ الإسلامي أن الرسول استشار أصحابه في اتخاذ قرار الدولة عملا من سورة آل عمران (٣): ١٥٩. ^{٢٤} في عصر النبوة كان أبو بكر يساعد الرسول في أمور الدعوة والدولة. فأبو بكر صاحب الرسول الصديق صاحبه في هجرته من مكة إلى المدينة. وفي المدينة فهو صاحبه في المشاورة لاتخاذ القرار من أمور الأمة الإسلامية.

^{٢٣}منور شاذلي، *Islam dan Tata Negara: Ajaran, Sejarah, dan Pemikiran* (جاكرتا: مطبعة

الجامعة الإندونيسية، ١٩٩٣)، ص. ٣٨.

^{٢٤}محمد أسد، *منهاج الإسلام في الحكم* (دم.: دار العلم للملايين، ١٩٨٢)، ص. ١٠٠-١٠٢.

وقبل موت الرسول فهو الذي يكون إماماً لصلاة الجماعة أثناء مرض الرسول.^{٢٥} لتدبير أمور الدولة، اختار الرسول بعض المساعدين كالكتاب والعامل للزكاة والقاضي.^{٢٦} هذا يدل على أن الرسول محتاج إلى المساعد في حل أمور الدولة فاتبعه الخلفاء الراشدون.^{٢٧} ففي عهد الخليفة أبي بكر الصديق، استشار الخليفة أصحابه وعلماء المدينة قبل اتخاذ القرار عن أمور الدولة.^{٢٨} بهذه المشاورة سعى الصحابة في تنفيذ قرارهم لمصلحة الأمة الإسلامية.^{٢٩} لتنظيم الأمور الدولية اختار أبو بكر علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت كالكتابين في المدينة، واختار أبا عبيدة ليكون قسم المال لحفظ بيت المال واختار القواد للجنود المسلمين.^{٣٠}

في هذا العهد كان عمر بن الخطاب بمنزلة وزير أبي بكر، يستشيره في كل أموره، ويُعينه في تصريف حكمه، ومن أبرز الأمور التي أشار فيها عمر على أبي بكر أن يجمع القرآن الكريم، خوفاً من ضياعه؛ إذ قُتل معظم حفظه وقُرأته في موقعة اليمامة،

^{٢٥} محمد إقبال، *Fiqh Siyasaḥ: Kontekstualisasi Doktrin Politik Islam*، ص. ١٤٥.

^{٢٦} المصدر السابق.

^{٢٧} المصدر السابق، ص. ٩٦-٩٧.

^{٢٨} سويوطي فولونجان، *Fiqh Siyasaḥ: Ajaran, Sejarah dan Pemikiran* (جاكرتا: راجا

جرافندو، ١٩٩٩)، ص. ١٠٩.

^{٢٩} المصدر السابق، ص. ١١٤.

^{٣٠} المصدر السابق.

وهذا الأمر يرويه زيد بن ثابت، وهو الذي أنيط به جمع القرآن الكريم، حيث قال: "أرسل إليّ أبو بكر- مقتل أهل اليمامة-، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: "إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن." قلت لعمر: "كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟" قال عمر: "هذا والله خير." فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: "إنك رجل شاب عاقل لا تهملك، وقد كتبت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمهه."^{٣١}

يكون عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين بعد وفاة أبي بكر الصديق. ففي عهده ساعده عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، فهما كوزيرين له. فأنشأ الدواوين وفي كل ديوان يرأسها صاحب الديوان.^{٣٢} ولكن مع ذلك لم تدون الوزارة إلا في عصر الخلافة العباسية. يرأس الوزارة الوزير الذي يدبر الدواوين تحت الوزارة كديوان الخراج وديوان

^{٣١}راغب السرجاني، إسهامات المسلمين النظرية في نظام الوزارة.

^{٣٢}المصدر السابق، ص. ١٤٦.

الجيش وديوان بيت المال.^{٣٣} فالوزير مساعد الخليفة ووكيله في تنفيذ الأمور بموافقة الخليفة.^{٣٤}

اتهى عصر الخلفاء الراشدين بوفاة علي بن أبي طالب فبدأ عصر الخلافة الأموية بالخليفة الأول معاوية بن سفيان.^{٣٥} في هذا العصر نقل معاوية عاصمة الدولة من المدينة إلى دمشق. وتغير منصب الخلافة من المشاورة إلى الوراثة. ولم تنشأ الوزارة في هذا العهد إلا الكاتب والحاجب والديوان.^{٣٦} الكاتب مسؤول في ترتيب إدارة الدولة، تكون الكاتب من كاتب الرسائل وكاتب الخراج وكاتب الجند. الحاجب مسؤول في غنشاء جدول الخليفة. أما الديوان مكون من ديوان الرسائل وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الخراج.^{٣٧}

وفي العصر الأموي لم تكن الوزارة خطة رسمية ثابتة إذ أن الثابت أن الوزارة كمنصب سياسي اخذ عن الفرس مع ظهور العباسيين فقد عول بنو العباس علي اتخاذ وزراء حتى قبل وصولهم إلي الحكم فنسمع مثلاً الخلال كوزير لآل محمد إبان مرحلة

المصدر السابق، ص. ٨٩.

سويوطي فولونجان، *Fiqh Siyasa: Ajaran, Sejarah dan Pemikiran*، ص. ١٧٣-١٧٤.

محمد إقبال، *Fiqh Siyasa: Kontekstualisasi Doktrin Politik Islam*، ص. ١٦٢.

سويوطي فولونجان، *Fiqh Siyasa: Ajaran, Sejarah dan Pemikiran*، ص. ١٤٧.

المصدر السابق، ص. ١٦٨-١٧٠.

الدعوة الإسلامية وبعد وصول العباسيين إلى الخلافة استعانوا بوزراء أكفاء من الفرس والعرب مثل البرامكة وبنو سهل من الفرس في العصر العباسي الأول ومن العرب اشتهر الفضل بن الربيع كوزير للرشيد .

كان الوزير مساعدا أساسيا للخليفة أو نائبه وهو مسؤول عن أمور الدولة باسم الخليفة . وزير التفويض المشهور في العهد العباسي هو من عائلة البرمك . استولى الخليفة هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي وزيرا وأعطاه الولاية الكبيرة في أمور الخلافة وخاتمه الخاص . بعد وفاة يحيى استولوا ابنه جعفر بن يحيى البرمكي .

عظم شأن الوزير لما جاءت دولة بني العباس وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد وتعيين مرتبته في الدولة، وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب، وجعل لها النظر في ديوان الحسابان لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات في الجند، فاحتاج إلى النظر في جمعه وتقريبه، وأضيف إليه النظر فيه . ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة، لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور . وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذباع والشياح ودفع إليه . فصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم، وسائر معاني الوزارة والمعاونة، حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة . ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له، لاستنكافه عن مثل ذلك .

جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان، وتعاور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى. وصار الوزير إذا استبد محتاجاً إلى استنابة الخليفة إياه لذلك لتصح الأحكام الشرعية وتجيء على حالها كما تقدم. فانقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ، وهي حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه، وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبداً عليه. ثم استمر الاستبداد وصار الأمر للملك العجم وتعطل رسم الخلافة. ولم يكن لأولئك المتغلبين أن ينتحلوا ألقاب الخلافة، واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لأنهم خول لهم، فتسموا بالإمارة والسلطان. وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الأمراء أو بالسلطان، إلى ما يخلجه به الخليفة من ألقابه كما تراء في ألقابهم، وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخليفة في خاصته. ولم ينزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم. وفسد اللسان خلال ذلك كله، وصارت صناعة ينتحلها بعض الناس، فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك، ولأنهم عجم، وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به، وصارت خادمة للوزير. واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع إليها، ويده مع ذلك عالية على أهل الرتب، وأمره نافذ في الكل إما نيابة أو استبدادا. واستمر الأمر على هذا.

فالوزارة لم تنظم قواعدها إلا في عهد الدولة العباسي حيث تقررت قوانين الوزارة، وسمي الوزير وزيراً. يعتبر أبو سلمة الخلال حفص بن سليمان أول وزراء الدولة

العباسية، أي أنه أول من تولى الوزارة بعد تنظيم قواعدها، وتطورت الوزارة في العهد العباسي، حيث أضيفت إليها الكتابة، أي كانت وظيفة تابع للوزارة فالكتاب تبع الوزير، وقد يرقى الكاتب إلى رتبة وزير. من سبب تنظيم الوزارة في هذا العصر هو لدخول الفرس في الثقافة الإسلامية.

ظهر منصب الوزارة في الإمارات المستقلة التي تشبهت ببني العباس مثل الوزارة في دول الرستمين والادارسة وأمراء الأندلس وقد عرف الوزراء في الأندلس باسم الحجاب. وقد ازداد نفوذ الوزراء في أوائل العصر العباسي الثاني لضعف الخلفية واعتماد قواد العسكر علي الوزراء لتسيير أمور الدولة نتيجة عجزهم الإداري وقلة خبرتهم في السياسة والحكم، وقد بلغت التهافت علي تولى الوزارة في هذا العصر إلي حد التنافس من اجل الجاه بدفع الرشاوى والهبات لقادة العسكر والذين (أي الوزراء) لم يسلموا من بطش قادة العسكر وعلي ذلك أصبحت الوزارة في أواخر هذا العصر نكبة علي من يتولاها إذ انحصرت مهمة الوزير في إشباع نهم أمير الأمراء في الحصول علي الأموال وكثيرا ما قتلوا وسجنوا وقطعت أطرافهم لعجزهم عن الوفاء بمطالب لعسكر.

أما أبو سلمة الخلال، أول وزير في الإدارة الإسلامية، فهو (حفص بن سليمان) استخلفه بكير بن ماهان في رئاسة الدعاة في الكوفة وكب إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بذلك، فكتب محمد إلى أبي سلمة فولاه أمر الدعوة بعد موت بكير بن ماهان. وكان أبو سلمة مولى لبني الحارث بن كعب، وقد نشأ بالكوفة واتجر بالخل فلهذا

لقب الخلال، وكان يتمتع بقدرة على الاقتناع، وموهبة ادارية مكنته من النجاح في عمله السري ضد الامويين. ولما قتل ابراهيم بن محمد (الامام) في سجنه في حران، خاف أخواه (أبو جعفر المنصور) وأبو العباس (السفاح)) على أنفسهما فخرجا من الحميمة هاربين إلى العراق، ومعهما بعض رجال العباسيين فقدموا الكوفة، ونزلوا على أبي سلمة الخلال، فأخفاهما في دار أحد رجال الشيعة في الكوفة. وحين تمت البيعة لأبي العباس السفاح (ولى أبا سلمة الداعي جميع ما وراء بابه، وجعله وزيره، وأسند إليه جميع أموره، فكان يسمى وزير آل محمد، فكان ينفذ الامور من غير مؤامرة) ولكن يبدو أن السفاح اكتشف تغير ميول أبي سلمة السياسية وميله إلى العلويين، وقد حرصه على قتله أبو مسلم وأبو جعفر المنصور، وموقف السفاح من قتله غامض، إلا أنه لا شك في أن لبطانة السفاح يدا كبرى في تدبير قتله على يد أبي مسلم الذي أرسل مروان الضبي، وكان أحد قواده، وقال له: "انطلق إلى الكوفة، فأخرج أبا سلمة من عند الامام أبي العباس، فاضرب عنقه وانصرف من ساعتك" ففعل الضبي ذلك، وقد فعل أبو مسلم ما فعله بناء على رغبة السفاح وخاصته.

وعندما نشأ هذا الوضع الدستوري في الدولة الإسلامية وهو وجود الخليفة مع تفويض اختصاصاته إلى رجل آخر يسمى وزيرا، وليس وزيرا بالمعنى المعروف وإنما قائم عن الخليفة أو نائب له، سموا من تكون هذه صفته وله هذه الاختصاصات بوزير التفويض؛ تفريقا له عن الوزير العادي، أو من سموه بوزير التنفيذ، والذي حدد عمله في

مهمة معينة، ومن وزراء التفويض في الدولة العباسية يحيى بن خالد حين قلده هارون الرشيد شؤون الدولة، حيث قال له: "وقد فوضت إليك أمر الرعية، وخلصت ذلك من عنقي وجعلته في عنقك، فول من رأيت واعزل من رأيت" وتشبه وزارة التفويض هذه منصب رئيس مجلس الوزراء في العصر الحديث. ثم إن الدولة العباسية كذلك، عرفت نظام اللامركزية في نظام الوزارة، وذلك من خلال وجود وزراء في الأقاليم يتبعون لوالي الإقليم كما يتبع وزراء الدولة للخليفة. وتطورت الوزارة في الدولة الإسلامية، فنجد مثلاً في الأندلس أن معنى الوزارة مطابق لمعناها المعروف في العصر الحديث، حيث يستقل الوزير بمرفق من مرافق الدولة مع وجود رئيس للوزراء يسمى حاجباً.

فنظام الوزارة في الدولة الإسلامية - بتطوره الذي مر - يعتبر من الوقائع الدستورية المستجدة في العهود الإسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة، وهو يدخل ضمن نطاق الوقائع الدستورية بمعنى الدستور الخاص أو الفني التي تعتبر أحكاماً متغيرة تتغير بتغير الزمان والمكان، وقد تكون عرفاً دستورياً في بعض العصور.^{٣٨}

ولما عما الفساد أواخر العصر العباسي الثاني انعكس أثره علي الوزراء ويكفي ما روي عن الوزير الخائن ابن العلقمي الذي تعاون مع المغول في غزو بغداد. في عهد الخليفة المعتصم، حين قلت ولاية الخليفة، تغيرت ولاية الوزارة إلى جيش الدولة

^{٣٨} توفيق بن عبد العزيز، الإسلام والدستور، جزء ١ (رياض: المملكة العربية السعودية-وزارة الأوقاف،

وهم من الأتراك. فالوزراء كأمر الأئراء أو السلطان في هذا العهد قادرون على نصب الخليفة واعتزاله بما شاءوا، فالخليفة خاضع للوزير.³⁹ منذ ذلك الحين كانت الوزارة منظمة في الحكومة إر عصرنا الآن مع التغيرات.

ثم جاءت دولة الترك آخراً بمصر فأروا أن الوزارة قد ابتذلت بترفع أولئك عنها ودفعا لمن يقوم بها للخليفة المحجور، ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير، فصارت مرؤوسة ناقصة، فاستنكف أهل هذه الرتبة المالية في الدولة عن اسم الوزارة. وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد، وبقي اسم الحاجب في مدلوله، واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية.

وأما دولة بني أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة، ثم قسموا خطه أصنافاً وأفردوا لكل صنف وزيراً: فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضمة لهم، وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له. وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب، ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم، فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب، حتى صار ملوك الطوائف يتحلون لقبها فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما نذكره.

³⁹ المصدر السابق، ص. ٨٨-٩٠.

ثم جاءت دولة الشيعة بإفريقية والقيروان وكان للقائمين بها رسوخ في البداوة فأغفلوا أمر هذه الخطط أولاً وتنقيح أسمائها حتى أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسمائها كما تراه في أخبار دولتهم.

وفي الدولة الفاطمية تعاضل نفوذ الخلفاء الفاطميين الأوائل علي حساب الوزراء الذي كانوا فقط أشبه بوزراء التنفيذ، وقد تفنن الفاطميون في إضفاء الرسوم الجديدة على منصب الوزارة إذ قسموها إلى نوعين وزارة السيف ووزارة القلم. وحين ضعف خلفاء العصر الثاني الفاطمي برز نفوذ الوزراء حتى أطلق المؤرخون علي هذا العصر اسم عصر الوزراء العظام ومن أشهرهم بدر الجمالي وابنه الأفضل، وجدير بالذكر أن وزراء من أهل الذمة تقلدوا هذا المنصب لما عرف عن الفاطميين من التسامح ومنهم عيسى النسطوري ويعقوب بن كلس، وكان سقوط الخلافة الفاطمية في النهاية مرتبطاً بالصراع بين الوزراء فنعلم أن الوزير شاور استعان بنور الدين محمود ض منافسه ضرغام الذي استعان هو الآخر بالصليبيين في الشام وانتهى الحال بسقوط الخلافة الفاطمية وظهور الدولة الأيوبية وفي العصر المملوكي ابتكر منصب جديد هو نائب السلطان الذي حجب منصب الوزير كما ظهر منصب آخر هو ناظر الخاصة الذي قضي علي الوزارة نهائياً.

ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولاً للبداوة، ثم صارت إلى اتحال الأسماء والألقاب. وكان اسم الوزير في مدلوله. ثم اتبعوا دولة الأمويين

وقلدوها في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه، ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم والآداب التي تلزم في الكون بين يديه، ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاءوا ولم يزل الشأن ذلك إلى هذا العهد .

وأما في دولة الترك بالمشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الأداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه الدويدار، ويضيفون إليه استتباع كاتب السر وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالخاضرة. وحالهم على ذلك لهذا العهد . والله موالي الأمور لمن يشاء .^{٤٠}

أما في المغرب الإسلامي فقد عرف في بلاد المغرب منذ ظهور الدول المستقلة وزادت أهميته في ظل المرابطين والموحدين . وفي الأندلس سمي الوزير في البداية بالحاجب، لكن هذا المنصب الأخير أصبح يقصد به رئيس الوزراء، أما الوزراء فقد نيطوا بمهام محددة هي مهام الكتاب في المشرق، فوجد وزير المالية وآخر للبريد وثالث للنظر في أمور الثغور، وفي ظل أمراء الطوائف صار اسم الوزير يطلق على كل من يجلس الأمراء، أما من ينوب عن الأمير فقد عرف باسم ذي الوزارتين، وقد تولى اليهود منصب الوزارة في هذا العصر، ومن أشهرهم يوسف بن نغالة . هكذا كانت الوزارة تلي الخلافة مكانة ويكفي أن الوزير كان يتقاضى من الدولة راتباً يبلغ مائة ألف دينار .

^{٤٠} ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (المكتبة الشاملة)، جزء ١، ١٢٥-١٢٧

نظرا لأن منصب الوزارة كان محط أنظار كثيرين من قادة الجيش وكبار رجال الدولة؛ فقد قامت منافسات للظفر بهذا المنصب الجليل؛ ولهذا لم يهنا شاور بمنصبه الجديد؛ إذ نجح ضرغام أحد كبار رجال الدولة في خلعه، والجلوس مكانه في منصب الوزارة؛ فهرب شاور إلى الشام مستنجدا بنور الدين محمود صاحب دمشق؛ ليعيده إلى منصبه، وفي الوقت نفسه استنجد ضرغام بعموري الصليبي ملك بيت المقدس. لبي كل من نور الدين محمود وعموري نداء من استنجد به؛ فأرسل نور الدين سنة ٥٥٩هـ الموافق ١١٦٤م حملة بقيادة أسد الدين شيركوه، ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي وكان في السابعة والعشرين من عمره، وحضر الصليبيون إلى مصر بقيادة عموري، وتابعت حملات نور الدين وعموري على مصر، حتى بلغ عددها ثلاثا، وانتهى الأمر بهزيمة الصليبيين، وانتصار حملة نور الدين، والقضاء على الوزيرين المتنافسين، وتقليد أسد الدين شيركوه منصب الوزارة في سنة ٥٦٤هـ الموافق ١١٦٩م.

واسترد منصب الوزارة مكانته في ظل البويهيين إذ حرصوا على اختيار وزرائهم ممن أوتوا مكانة علمية ومقدرة إدارية ومن أشهر وزراء هذا العصر ابن العميد والصاحب إسماعيل بن عباد. واستمر الحال على هذا المنوال في العصر السلجوقي حيث تعاظم نفوذ الوزراء إلى حد التدخل في اختيار السلاطين وقد لمع في هذا العصر الوزير المشهور "نظام الملك" الذي أوتي حصانة سياسية وخبرته الإدارية الفذة

بالإضافة إلى دوره الثقافي حين أنشأ المدارس النظامية. كذلك عرف الوزير ابن هبيرة بالعلم والتأليف.

بعد انحطاط الخلافة العثمانية، تغيرت الحكومة من الخلافة إلى الدولة التي يرأسها رئيس الدولة. وكانت الدولة متنوعة الشكل منها بشكل المملكة يرأسها الملك أو بشكل الجمهورية التي يرأسها رئيس الجمهورية، وهذا يؤثر في تغير شكل الوزارة. في هذا العصر، على الأقل، تنقسم الوزارة إلى القسمين، الأول كان الوزير مسؤول إلى رئيس الدولة الذي ينصبه ويعزله أو كان الوزير مسؤول إلى البرلمان لا إلى الرئيس. فاختيار الوزير حسب أصوات الأحزاب الفائزين في الانتخاب العام.^{٤١}

د. تحليل البحث

تتكون الدولة من ثلاثة عناصر: الحكومة والرعية و الأرض.^{٤٢} الحكومة مسؤولة عن حماية رعيته. وهي تتكون من رئيس ومساعديه. فالرئيس مسؤول عن نجاح حكومته ومساعدوه مسؤولون لمساعدة الرئيس في حل مشاكل الدولة. الرعية هي التي ترعاها الحكومة. والأرض هي المكان الذي يعيش فيها المجتمع. إذ خلا واحد من هذه الثلاثة فلا تسمى بالدولة.

^{٤١} المصدر السابق، ص. ١٥١.

^{٤٢} محمد مبارك، نظام الحكم في الإسلام (سولو: منطوق، ١٩٨٩)، ص. ٦٦-٦٧.

في الخلافة أن يهتم الحكومة الأسس الأربعة التي علمها الإسلام وهي الأمانة والعدل والطاعة والمشاورة. الأساس الأول، الأمانة وهي أن يؤدي الخليفة ومساعدوه الأمانة إلى أهلها كهوله تعالى في كتابه الكريم في سورة النساء (٤): ٥٧ التي توضح أن الخلافة والحكومة أمانة من الله والرعية التي تؤكد بها بالبيعة وأداء الأمانة واجب. بأداء الأمانة تكون حقوق الله وحقوق العباد محفوظة فتعيش الرعية حياة سعيدة.

الأساس الثاني، العدل وهو مطابق بقوله تعالى في كتابه الكريم في سورة النساء (٤): ٥٨: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ). هذا يدل على أن الحكومة تنظم المجتمع بإنشاء القانون المطابق بأحكام الله التي أساسها العدل. لذلك تمشي الحكومة على نظام القانون لا على إرادة الحكومة.

الأساس الثالث، الطاعة وهي مطابقة بقوله تعالى في كتابه الكريم في سورة النساء (٤): ٥٩: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). هذه الآية تدل على إجابة الطاعة للأحكام المكتوبة في القرآن أو الحديث. قياساً على ذلك فوجوب الطاعة لأولى الأمر وقانون الدولة التي لا تخالف بالدين لأن طاعة أولى الأمر واجبة إلا في المعصية فلا طاعة له.^{٤٣}

قال ابن تيمية، قال العلماء: "نزلت الآية الأولى في ولاية الأمور؛ عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية في

^{٤٣} ابن تيمية، السياسة الشرعية (رياض: المملكة العربية-وزارة الأوقاف، ١٤١٨ هـ)، ص. ٣.

الرعية من الجيوش وغيرهم ، عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك ؛ إلا أن يأمرُوا بمعصية الله ، فإذا أمرُوا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فإن تنازعوا في شيء رُدوه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن لم تفعل ولاية الأمر ذلك ، أطيعوا فيما يأمرُون به من طاعة الله ورسوله ، لأن ذلك من طاعة ."

الأساس الرابع، الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية. لقوله تعالى في كتابه الكريم في سورة النساء (٤): (٥٩): (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)، نفهم من هذه الآية على الحكومة أن يتشاوروا في أخذ القرار من أمور الدولة المطابقة بمقاصد الشريعة، فإن تنازعوا في شيء فعليهم أن يردوه إلى الله ورسوله بالرجوع إلى القرآن الكريم أو السنة النبوية.^{٤٤}

رأى يوسف موسى، إن الوزير أمر مهم في الخلافة لأنه مساعد الرئيس، فلذلك على الرئيس أن يختار الوزير الأحسن مسؤولية لأمر الدولة والرعية. فعلى الرئيس أن يختار وزيره حسب قدرته ومهارته في ذلك الأمر لا بسبب القرابة أو المحبة أو

«عبد المعين سالم، *Fiqh Siyasaḥ: Konsepī Kekuasaan Politik dalam al-Qur'an*

(جاكرتا: راجاوي، ٢٠٠١)، ص. ٣٠٧.

المصاحبة. فالوزير أن يكون أميناً وصديقاً لأداء أمانة الرعية.^{٤٥} بعد اختيار الرئيس وزيره عليه أن يراقبه مراقبة جيدة على عمل وزيره كي تكون مصلحة الرعية ملحوظة ومحفوظة.^{٤٦}

وأما ابن تيمية رأى أن يمتلك أعضاء الحكومة صفتين أساسيتين هما القدرة والصدق.^{٤٧} الأولى، القدرة وهي الاستطاعة في أداء أمانته وواجباته جيداً، فذلك على الوزير أن يكون عارفاً ومهماً عن العمل والعدل حسب القرآن الكريم والسنة النبوية. والثانية، الصدق وهو أن يكون الوزير متقياً وصادقاً من عمق قلبه لا بسبب الخوف إلى الإمام أو الخليفة أو الناس حتى لا يتبع هوى نفسه فيعمل ما أمره الله ويترك ما ينهاه. كقوله تعالى في سورة المائدة (٥): ٤٤. ٤٨.

لقد اهتم الإسلام قديماً وحديثاً بجوانب عديدة من الحياة الإنسانية التي تنظم أمور البشر، ومما يميّز به الإسلام عن غيره أنه اهتم ولا يزال يهتم بتلك الجوانب المتعددة، فعلى المسلم أن يتعرف على الدين الإسلامي بجوانبه المختلفة لاسيما تلك التي تمسّ مباشرة الحياة اليومية للإنسان وسلوكياته، ولم يكن فهم الإسلام وتعليمه قاصراً

^{٤٥} محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام (القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت.)، ص. ١٩١.

^{٤٦} المصدر السابق، ص. ١٩٢-١٩٨.

^{٤٧} ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص. ١٢.

^{٤٨} المصدر السابق، ص. ١٣-١٤.

على أبواب العبادات فقط، بل لأبد من فهم الفقه السياسي والاجتماعي والاقتصادي للإسلام، وإبراز هذه الجوانب للعالم وبيان صلاحيتها للبشرية، وعلى مختلف أحوالها وأقطارها وأزمانها.^{٤٩}

والسلطة التنفيذية في الإسلام هي التي تقوم بإدارة شؤون الدولة كإقامة الحدود، وتنفيذ الأحكام، وتعيين الموظفين وعزلهم، وقيادة الجيش وإعلان الحرب، وقطع الصلح والهدنة وإبرام المعاهدات ونحوها، وهذه السلطة هي (في الأصل) بيد رئيس الدولة، ولما كان رئيس الدولة لا يتمكن من القيام بهذه السلطة وحده في كل أمور الدولة كان لأبد أن يكون له أعوان ووزراء يعينونه على تدبير الأمور في مسارها الصحيح وهذا ما سنحاول الوقوف عليه خلال هذه السطور القليلة.^{٥٠}

إن الوزارة في الفكر السياسي الإسلامي هي ذلك الجهاز المساعد والمعاون للخليفة في اختصاصاته التنفيذية التي تلقى على عاتقه في تحمل مسؤوليات كبيرة ومتعددة يستحيل أن يمارسها بمفرده؛ "لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة ونيابة الوزير بالمشاورة له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر به نفسه وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل.

^{٤٩} آدم بمنس، "مصطلح الوزارة" في الفكر السياسي الإسلامي"، في <http://arabic.alshahid.net>، ١٨

فبراير ٢٠١١.

المصدر السابق.

فهم من الآية أن مهمة الوزير هي أن يشد لأزر ويشارك في الحكم عن طريق إبداء الرأي والمشورة. وبهذا المعنى نجده أيضا في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي روته لنا عائشة رضي الله عنها حيث يقول: "إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكره أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه".

الوزارة ليست من النظم التي استحدثها الإسلام، بل كانت موجودة قبل الإسلام وخاصة عند بني إسرائيل، أما الوزارة في عهد الإسلام فقد مرت بعدة مراحل، مرحلة لم تكن الوزارة معروفة ولم تتضح معالمها وقواعدها، وتشمل تلك المرحلة مرحلتى صدر الإسلام وعهد بني أمية رغم أنه كان هناك من يسندون إليهم بعض المهمات دون أن يطلق عليهم اسم الوزير، أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي اتضحت معالم الوزارة وتحددت قواعدها وهي: مرحلة العباسيين.

وكان الوزير بمثابة الساعد الأيمن للخليفة ويطلق عليه "معاون الخليفة الأول" على غرار ما هو معروف اليوم في المغرب العربي "الوزير الأول" وتطلق عليه أغلب الدول "باسم رئيس الوزراء" طبعا على خلاف في الصلاحيات كل حسب دولته، فكان له الحق في تعيين العمال وفصلهم والقيام على موارد الدولة ومصارفتها والإشراف على ديوان الرسائل، ومع ذلك كان مركز الوزير يتردد بين القوة والضعف بحسب قوة الخليفة وضعفه كما يُظهر لنا التاريخ من أن العهد الأول من الخلافة العباسية كان الوزير ضعيفا

لقوة الخلفاء في ذلك العهد لاسيما فترة أبي العباس السفاح وفترة أبي جعفر المنصور على عكس العهد الأخير من الخلافة العباسية.

والمشتغلون في الفكر السياسي الإسلامي قد قسموا الوزارة إلى قسمين رئيسين هما وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، أما وزارة التنفيذ هي أن يعهد الخليفة بالوزارة إلى رجل يفوض إليه النظر في أمور الدولة والتصرف في شؤونها دون الرجوع إليه ولم يبق للخليفة بعد ذلك إلا لولاية العهد.

وكلا التعريفين لا يصلحان في واقع الحال؛ لأنهما يشيران إلى أن الوزير يمكن أن ينفرد بالسلطة ويتصرف كيف يشاء دون الخليفة ولهذا يمكن أن نعرف وزارة التفويض كالتالي "تحويل الخليفة أو الرئيس بعض الصلاحيات المسندة إليه إلى غيره على أن يتخذ التدابير والوسائل الكفيلة لمساء لتهم ومحاسبتهم عن نتائجها بحيث يضمن ممارستهم لتلك الاختصاصات على الوجه الذي يترآى له بصفته المسؤول عنها".

وإذا عرفنا ذلك فإننا نستطيع القول بأنه لا يمكن أن يكون مركز الخليفة في الدولة الإسلامية مركزاً صورياً فقط لا يملك من أمر الحكم شيئاً ويترك سياسة الدولة وإدارتها لغيره دون مباشرة ومراجعة منه وهذا لا تقبله المبادئ الإسلامية؛ لأنه يصطدم مع أصل عام قرره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، فإذا كان الخليفة راعياً ومسؤولاً عن رعيته فلا بد أن يكون ذا سلطة وهيبة فعلية، وقال بعض البلغاء: "من استوزر غير كاف خاطر بملكه، ومن استشار

غير آمن أعان على هلكه، ومن أسر على غير ثقة ضيع سره، ومن استعان بغير مستقل أفسد أمره، ومن ضيع عاقلا دل على ضعف عقله، ومن اصطنع جاهلا أعرب عن فرط جهله.

واشترط الباحثون لوزارة التفويض شروطا منها، العلم بأمور الدنيا والدين وليس بالضرورة أن يبلغ مرتبة الاجتهاد، والعدالة، وسلامة الحواس والأعضاء، والكفاءة اللاتقة والعقل الراجح، وحفظ الأسرار، وصواب التدبير.

أما وزارة التنفيذ فهي التي تقتصر مهمة الوزير فيها على عرض أمور الدولة على الخليفة فقط ليتلقى توجيهاته بشأنها ثم يقوم بتنفيذ ما أمر به الخليفة دون أن يكون له سلطة تقديرية أو حق في الاجتهاد في شؤون الحكم المختلفة وهو بهذا الوصف لا يعدو أن يكون واسطة بين الخليفة والرعية. أما شروط وزير التنفيذ فقد حدد الماوردي: الأمانة والذكاء وقلة الطمع والأخلاق الفاضلة، والتجربة السياسية اللازمة لدور الوساطة الذي يضطلع به هذا الوزير وبناءً عليه فإنه لا يشترط وزارة التنفيذ الشروط الأخرى كالحرية، والعلم بالأحكام الشرعية والمعرفة بأمر الحرب والخراج.

الوزارة في اصطلاح النظم المعاصرة هي صاحبة السلطة الفعلية، والمهيمنة على إدارة شؤون الدولة، وهي مسؤولة عن جميع تصرفاتها أمام البرلمان، ولهذا فهي تعتبر المحور الذي يدور حوله النظام البرلماني. وقد استعملت الدساتير العربية في هذا الخصوص ثلاثة مصطلحات وهي: السلطة التنفيذية، والحكومة، ومجلس الوزراء.

واصطلاح السلطة التنفيذية هو أوسعها دلالة، إذ يشمل جميع العاملين في مهام التنفيذ في الدولة، أما الحكومة ومجلس الوزراء فهما مصطلحان متقاربان لا يختلفان إلا في نواح محدودة أهمها:

١. أن مجلس الوزراء هو نظام برلماني لا يعرفه النظام الرياسي، ومن ثم فإن الاصطلاح الأدق في النظام الرياسي هو الحكومة، الذي يشمل رئيس الدولة ومعاونيه من الوزراء.

٢. أن اصطلاح الحكومة يطابق أو يخالف اصطلاح مجلس الوزراء، حسبما إذا كان رئيس الدولة يعتبر جزءاً من الحكومة أم لا، وما إذا كان من حقه أن يرأس مجلس الوزراء، ولكن الناظر إلى واقع الأنظمة العربية وداياتها يرى أن غالبيتها أخذت بنظام مجلس الوزراء.

واصطلاح الوزارة في النظم المعاصرة على هذا النحو لا أراه يخالف الإسلام، بل الاختلاف الجوهرى يأتي من خلال الشروط التي اشترطها الإسلام فيمن يتولون هذا المنصب، وكذلك السياسة والمنهج الذي تسير عليه الوزارة. كما بينا ذلك سابقاً عند التفريق بين السلطة التشريعية في الإسلام والأنظمة المعاصرة. لاسيما وأن معظم الدساتير العربية تقول بجواز الجمع بين عضوية المجالس النيابية ومنصب الوزارة.

إن هذا العصر الذي نعيش فيه أصبحت أمور الحكم وسياسة الدول على درجة كبيرة من التعقيد والتشعب، فإنه من المستحيل أن توكل كل أمور الدولة إلى وزير

واحد يقوم بكل شؤون الدولة وعليه، فإنه من المصلحة أن تعدد الوزراء حسب تعدد أعمال الدولة وتحدد حاجاتها بحيث يختص كل وزير بعمل معين لا يشاركه وزير آخر. وهذا يساعد على حسن سياسة الدولة وتيسير أمورها وإدارتها والقيام بتقديم الخدمات وإشباع حاجة المجتمع على خير وجه.

كما أنه ليس من الأنسب في وقتنا الحالي أن يكون اختصاص العام للوزير عموم النظر في كل أعمال الدولة من مالية وإدارية وحرية، لاسيما وأن هذا الشرط لا سند له من نصوص الشريعة ومبادئها العامة وعُذرنا لما ورد في غيرهم أنهم قد استمدوا من هذا الشرط من الواقع الذي عاشوه وكان قد ساد فيه هذا النوع من الوزارة وهو العصر العباسي.

وقد قرر الإسلام أن للخليفة أن يسأل الوزراء ويراقبهم ويحاسبهم إذا أساءوا معاملة الناس أو ارتشوا أو سرقوا أو جاروا أو خانوا أو أخفوا الأسرار عن الإمام وأمثال ذلك من الإساءات، ولهذا أنشئوا هذا ما اصطلح في زمانه (ديوان المظالم) الذي كان يتمتع في يومها قدر كبير من الصلاحيات، ويطلق عليه اليوم لدى بعض الدول باسم (ديوان المراقبة العامة) ويشترط في المساءلة والمحاسبة أن لا تؤدي إلى إثارة فتنة عمياء تكون وبالاً على الأمة على حد قوله تعالى "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة" وأن لا تصل إلى حد التجسس والتشهير على حد قول أبي بكر الصديق (وإن أسأت فقوموني) ولا يمنع الإسلام أن تنظم الرقابة على الوزراء والمعاونين في الحكم بأن

يوكل ذلك إلى مجلس النواب أو الشعب أو الشورى وأن ينشأ مجلس رقابة يرتبط مباشرة بالخليفة.

اختلف العلماء في حكم المشاركة في الوزارة على ثلاثة أقوال: القول الأول: إن الأصل في المشاركة في الوزارة الحرمة، وتزعم هذا القول الدكتور محمد أبو فارس، وإليه ذهب الأستاذ أحمد الحمود، والشيخ محمد قطب. القول الثاني: إن المشاركة في الوزارة تجوز استثناءً من الأصل، وإليه ذهب الدكتور إسحاق الفرحان، والشيخ راشد الغنوشي، الشيخ سعيد حوى، والدكتور عبد الرحمن عبد الخالق، والدكتور عمر الأشقر، والشيخ محمد أحمد الراشد، والدكتور يوسف القرضاوي. القول الثالث: إن المشاركة في الوزارة تجوز أصالة، وإليه ذهب الدكتور علي الصوا، وأستاذي الدكتور يونس الأسطل.

من هذه الآراء تختار الكاتبة القول الثالث بضوابط المشاركة في الوزارة هي:

١. أن تكون المشاركة وسيلة لتحقيق مصالح الإسلام والمسلمين، بحيث تكون مشاركة فعلية لا يخضع فيها الوزير المشارك خضوعاً تاماً لسلطة الحاكم وتنفيذ سياسته، بل يجب أن يملك صلاحيات تمكنه من تحقيق الأهداف التي بنيت عليها المشاركة ولو جزئياً.

٢. أن لا تكون المشاركة غاية بذاتها وهدفاً بعينها، بل هي مجرد وسيلة ينبغي تعميق النقاش حول الأمور التي يمكن تحقيقها، مع توضيح المصالح والمفاسد من خلال

الوقائع والأمثلة، والموازنة على أساسها، وعدم الاكتفاء بتزديد قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد التي لا يختلف على صحتها أحد، لاسيما وأن الموقف من المشاركة يختلف من شخص لشخص، ومن مكان لآخر بناء على تقدير المصلحة.

٣. ألا يكون الحكم موسوماً بالظلم والطغيان، معروفاً بالتعدي على حقوق الإنسان، فإن المطلوب من المسلم الملتزم بالنسبة إلى هذا الحكم أن يقاومه ويغيره بما أمكنه من وسيلة، ولو أن سيدنا يوسف عليه السلام طلب منه فرعون الذي علا في الأرض، وجعل أهلها شيعاً أن يجعله مكيناً في الأرض لرفض ذلك، ولم يسأله أن يجعله على خزائن أرض مصر، فقد كان ملك مصر في عهده غير فرعون في عهد موسى عليه السلام. ومن هنا لا يجوز للمسلم الملتزم ولا للجماعة المسلمة الملتزمة المشاركة في حكم دكتاتوري متسلط على رقاب الخلق، سواء كان حكم فرد مطلقاً، أم حكماً عسكرياً متعسفاً. إنما تكون المشاركة في حكم يقوم على الديمقراطية، ويحترم مقدرات البشر.

٤. أن يكون له حق معارضة كل ما يخالف الإسلام مخالفة بينة، أو على الأقل التحفظ عليه، فالوزير قد يقيم العدل الممكن في وزارته، ولكن يطلب منه في مجلس الوزراء أن يوافق على قوانين أو اتفاقيات أو مشروعات مخالفة لقواعد الإسلام، فهنا يجب عليه أن يعترض أو يتحفظ بقدر نوع المخالفة وحجمها. وقد

- يضطر المسلم الملتزم أو الجماعة المسلمة إلى الانسحاب من الحكم في حال المخالفات الخطيرة التي لا يكفي فيها التحفظ والاعتراض.
٥. ألا يخوض غمار هذا المعتك الساسي الدقيق والحساس إلا من رسخ دينه، وقوي شأنه، وأيقن أن المهمة الوزارية وظيفية تكليفية لا تشريفية.
٦. تقويم المشاركة كل فترة زمنية بالنظر إلى الظروف الموضوعية والمتطلبات المرحلية والأوضاع الحلية والدولية ومدى ملاءمتها لتحقيق المصالح والأهداف المرجوة التي تجعلهم يمضون في طريقهم أو يضطرون للانسحاب.^٩

٥. الخاتمة

من البحث السابق تستنتج الكاتبة أن الوزارة كلمة أصيلة من اللغة العربية من فعل وزر، وهي بلغة الفرس بمعنى الحاكم. استعملت الوزارة في الدعوة النبوة منذ عهد النبي موسى عليه السلام. لم تكن كلمة الوزارة مستعملة في الحكومة في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ولكن معروفة منذ عهد الخلافة الأموية ثم تكوم منظمة في العصر العباسي وتطورت الوزارة بتطور الخلافة والدولة في الإسلام. مهما لم تكن الوزارة في الإسلام منظمة إلا منذ العصر العباسي إلا أن التاريخ يوضح أن الوزارة

^٩ -، المشاركة في الوزارة.

قد نشأت منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهو أن أبا بكر هو مساعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو وزيره .

وقد ميز الماوردي بين نوعين من الوزارة وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، والنوع الأول يتميز بالسلطات الواسعة للوزير الذي يفوضه الخليفة في التصرف في كبار المهام الإدارية والعسكرية والسياسية والمالية، أما وزارة التنفيذ فتعني أن يعهد الخليفة إلى الوزير بتنفيذ أوامره في أمور الجيش أو المال أو الإدارة وتكون سلطات الوزير محدودة ولا يحق له التصرف من تلقاء نفسه .

إن الوزارة أمر مهم في الحكومة لأنها تساعد الخليفة في إدارة الدولة واتخاذ القرار المطابق بمصالح الرعية فتسهل أمور الخلافة وتخفف عبء الخليفة في حل مشاكل الدولة والرعية . رجاء بوجود الوزارة تمشي الإدارة جيدة ومنظمة فتعيش الرعية عيشة مرضية .

المصادر

ابن منظور، لسان العرب، ج. ٥ (بيروت: دار صادر، دت .)

الماوردي، الأحكام السلطانية (بيروت: دار الفكر، دت .)

–، "المشاركة في الوزارة"، في <http://www.palestine-info.info>، ١٧ فبراير ٢٠١١.

مون ل اسبوسيطو، أكسفورد، ج. ٦ (باندونج، ميزان، ٢٠٠١)، ص. ١٥٨.

محمد إقبال، *Fiqh Siyasa: Kontekstualisasi Doktrin Politik Islam* (جاكرتا: غايا ميديا فرتاما، ٢٠٠١).

أ. جازولي، *Fiqh Siyasa: Implementasi Kemaslahatan Umat dalam Rambu-rambu* (باندونج: جونونج جاتي، ٢٠٠٠).

راغب السرجاني، "إسهامات المسلمين النظرية في نظام الوزارة"، في <http://www.islamstory.com>، ١٧ فبراير ٢٠١١.

–، "الوزارة في الإسلام"، <http://el-wasat.com>، ١٧ فبراير ٢٠١١.

وهبه الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، ج. ٨ (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨).

منور شاذلي، *Islam dan Tata Negara: Ajaran, Sejarah, dan Pemikiran* (جاكرتا: مطبعة الجامعة الإندونيسية، ١٩٩٣).

محمد أسد، *منهاج الإسلام في الحكم* (دم.: دار العلم للملايين، ١٩٨٢).

سويوطي فولونجان، *Fiqh Siyasa: Ajaran, Sejarah dan Pemikiran* (جاكرتا: راجا جرافندو، ١٩٩٩).

الوزارة في السياسة الشرعية

توفيق بن عبد العزيز، الإسلام والدستور، جزء ١ (رياض: المملكة العربية السعودية-

وزارة الأوقاف، ١٤٢٥ هـ).

محمد مبارك، نظام الحكم في الإسلام (سولو: منطوق، ١٩٨٩).

ابن تيمية، السياسة الشرعية (رياض: المملكة العربية-وزارة الأوقاف، ١٤١٨ هـ).

عبد المعين سالم، *Fiqh Siyasaḥ: Konsepsi Kekuasaan Politik dalam al-*

Qur'an (جاكرتا: راجاولي، ٢٠٠١).

محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام (القاهرة: دار الكتاب العربي، دت.).

أدم يمينس، "مصطلح" الوزارة في الفكر السياسي الإسلامي، في

<http://arabic.alshahid.net>, ١٨ فبراير ٢٠١١.